

## الدرس الخامس والعشرون

الأدلة على عصمة الأنبياء.

### المقدمة ..

- الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء .
- الأدلة النقلية على عصمة الأنبياء .
- السرُّ في عصمة الأنبياء .



## المقدمة

الاعتقاد بعصمة الأنبياء من الذنوب والمعاصي العمدية والشهوية من المعتقدات القطعية المعروفة عند الشيعة، علّمها الإمام (ع) لشيعتهم، وناذروا بها مخالفتهم بأساليب مختلفة. ومن المناظرات والاحتجاجات المعروفة في هذا المجال؛ احتجاج الإمام الرضا (ع) المذكور في كتب الحديث والتاريخ.

ولكنَّ هناك خلافاً حول نفي السهو والنسيان عن الأنبياء في الأمور المباحة والعادلة، ولا تخلو ظواهر الروايات المنقولة عن أهل البيت (ع) من اختلاف وتعارض، والبحث فيها يحتاج إلى مجال أوسع، وعلى كلٍّ حال لا يمكن اعتبارها من المعتقدات الضرورية.

ويمكن تقسيم الأدلة التي ذُكرت لعصمة الأنبياء (ع) إلى مجموعتين: إحداهما: الأدلة العقلية، والثانية: الأدلة النقلية، وإن كان الاعتماد على الأدلة النقلية أكثر ونحن هنا نستعرض دليلين عقليين، ثمَّ نذكر بعض الأدلة القرآنية.

### الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء

الدليل العقليُّ الأوَّل على لزوم عصمة الأنبياء (ع) من ارتكاب المعاصي: إنَّ الهدف الأصليَّ من بعثتهم هو تعريف البشر بالحقائق والوظائف التي عينها الله للبشر، وفي الواقع أنَّهم سفراء من الله للبشر، يلزم عليهم هداية الآخرين للطريق المستقيم، فإذا كان هؤلاء السفراء أنفسهم غير ملتزمين بال تعاليم الإلهية، بل يعملون بما يخالف محتويات رسالتهم، فإنَّ الناس

سيرون في عملهم هذا بياناً مخالفأً لأقوالهم، وبذلك سوف لا ينفون بأقوالهم، ونتيجة لذلك سوف لا يتحقق الهدف من بعثتهم بصورة كاملة. اذن، فالحكمة واللطف الإلهيان يتضمنان أن يكون الأنبياء معصومين ومنزهين عن المعاصي، بل لا يصدر منهم العمل القبيح حتى سهواً ونساناً، لئلا يتحمل الناس أنهم اتخذوا إدعاء السهو والنسيان مسوغاً لارتكابهم الذنب والمعصية.

الدليل العقليُّ الثاني على عصمة الانبياء: إن الأنبياء كما أنهم مكلّفون بإبلاغ محتوى الوحي والرسالة للناس، وهدایتهم للطريق المستقيم؛ كذلك هم مكلّفون بالقيام بتزكية الناس وتربيتهم وإصلاحهم، وإيصال الأفراد المؤهّلين وذوي الاستعداد إلى آخر مرحلة من مراحل الكمال الإنساني، ويعتبر آخر: إن على عاتقهم - إضافة إلى تكفلهم مهمة التعليم والهداية - مهمة التربية والإصلاح والتوجيه، تلك التربية الشاملة التي تشمل حتى أكثر الناس استعداداً وأسماهم درجة، ولا يستحقُ مثل هذا المقام الاصلاحيُّ الرفيع إلا أولئك الذين بلغوا أسمى درجات الكمال الإنساني، ويملكون أكثر الملّكات النفسية كمالاً، وهي ملكة العصمة.

اضف إلى ذلك أنَّ دور سلوك المربي وأفعاله أكثر تأثيراً من أقواله في تربية الآخرين واصلاحهم، ومن وُجدت نفائص وعثرات في أفعاله، فإنَّ قوله سوف لا يملك التأثير المنشود، اذن فأنما يتحقق الهدف الإلهيُّ من بعثة الأنبياء بصورة كاملة بما هم مُربُّو المجتمع ومصلحوه، فيما لو كانوا معصومين ومنزهين عن كلِّ انحراف في أقوالهم وأفعالهم.

### الأدلة النقلية على عصمة الأنبياء

١ - عبر القرآن الكريم عن بعض الأفراد بـ (المخلص)<sup>(١)</sup>، حيث لا

---

(١) لا بدَّ من أن نعلم بأنَّ (مخلص) بفتح اللام غير (مخلص) بكسرها، فالأول يدلُّ على أن الله جعل الشخص خالصاً، ومعنى الثاني أن الشخص يمارس اعماله بخلاص ونية مخلصة.

يطبع في اغواهم حتى الشيطان، ومن هنا أقسم على إغواء بني آدم جميعهم وأستثنى المخلصين، كما جاء في الآيتين ٨٢ - و ٨٣ من سورة ص:  
﴿قَالَ فَبِئْرَتَكَ لِأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عَبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصُونَ﴾.

ولا شك في أنّ مبعث يأس الشيطان من إغواهم إنما هو: ما يملكونه من تزويه وصيانة من الضلال والآثام، وإلا فإنّ عداه شامل حتى لهؤلاء، ولو كان يمكنه إغواوهم لما تخلّى عن إغواهم وأعرض عنهم. إذن فعنوان (المخلص) مساوٍ لـ(المعصوم)، وإنّه - وإن لم يوجد دليل على اختصاص هذه الصفة بالأنبياء - إلا أنه لا يمكن الشك في شمولها لهم. وقد اعتبر القرآن الكريم بعض الأنبياء من المخلصين كما جاء في الآيتين ٤٥ و ٤٦ من سورة ص:

﴿وَإِذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ \* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَنِي الدَّار﴾.

وفي الآية (٥١) من سورة مريم:  
﴿وَإِذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾.

وكذلك اعتبر السبب في تنزه يوسف (ع) عن الانحراف في أشد الظروف هو أنه كان مخلصاً، كما في الآية (٢٤) من سورة يوسف:  
﴿كَذَلِكَ لِتَصْرِفَ عَنَّهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصُونَ﴾.

٢ - لقد فرض القرآن الكريم على البشر إطاعة الأنبياء بصورة مطلقة كما جاء في الآية (٦٤) من سورة النساء:  
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وإنّما تصح إطاعتهم المطلقة فيما لو كانت في مسار إطاعة الله وبموازاتها، بحيث لا تكون إطاعتهم منافية لإطاعة الله، وإنّ الأمر بالطاعة المطلقة لله تعالى، والأمر بالطاعة المطلقة لمن هم معروضون للخطأ والانحراف سيكونان على طرقٍ نقية.

٣ - لقد خصّ القرآن الكريم المناصب الإلهيّة لأولئك الذين لم

يتلؤثوا بـ(الظلم). يقول تعالى في جوابه لإبراهيم (ع) الذي طلب منصب الإمامة لأبنائه: «**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**»<sup>(١)</sup>.

ونحن نعلم أن حكمة معصية هي ظلم للنفس على الأقل، وكل عاصٍ ومذنب ظالمٌ في عرف القرآن الكريم، اذن؛ فالأنبياء أصحاب المنصب الإلهي (النبيّة والرسالة) لا بد وأن يكونوا متزهين عن كل ظلمٍ ومعصية ويمكن استفادة عصمة الأنبياء (ع) من آيات أخرى، وروايات كثيرة نعرض عن ذكرها.

### **السر في عصمة الأنبياء**

في نهاية هذا الدرس تجدر بنا الاشارة الى السر في عصمة الانبياء، فاما السر في صيانتهم في مجال تلقى الوحي فهو: إن إدراك الوحي من قبل المدركات التي لا تحتمل الخطأ، والشخص المؤهل لتلقى، متوفّر على حقيقة علمية يدركها حضورياً، ويشاهد ارتباطها بالموحي - سواء كانت هناك واسطة (ملك) أم لم تكن<sup>(٢)</sup> - ولا يمكن لمتلقى الوحي أن يشك بأنّه هل تلقى الوحي أم لا؟ أو من الذي أوحى إليه؟ أو ما هو محتواه ومفادها؟

وإذا ما وردت بعض القصص والحكايات الموضوعة والمكتوبة التي تدعّي أن النبي شَكَ في نبوته! أو لم يدرك محتوى وحيه! أو لم يعرف الموحي اليه! فهذه أخبار كاذبة، وهذه الأباطيل تشبه أن يقال: إنه شَكَ في وجوده، أو في مدركاته الحضورية والوجودانية.

اما السر في عصمة الأنبياء في مجال القيام بالوظائف الإلهية، ومنها إبلاغ رسالة للناس، فيحتاج لمقدمة هي:

إنَّ الْأَفْعَالَ الْبَشَرِيَّةَ إِنَّمَا تَتَمُّ بَأْنَ يَحْصُلُ فِي أَعْمَاقِ الْأَنْسَانِ مِيلٌ لِأَمْرٍ

(١) البقرة/١٢٤.

(٢) يقول القرآن الكريم في ذلك: «**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**» (النجم/١١).

ينشله، يُثار هذا الميل نتيجة لعوامل ومثيرات مختلفة، ويحدّد الإنسان طريق الوصول لهدفه المنشود بمعونة العلوم والمدركات المختلفة، ثم يقدم على العقل المناسب معه، فإذا وجدت الميول والرغبات المتعارضة والمترادفة، فإنَّه يسعى قدر جهده لتحديد أفضلها وأكثرها قيمة وأهمية، ويختاره عملياً. ولكنَّه أحياناً - ونتيجة لنقص في علمه وقصور في معرفته - يكون مخطئاً في تقويم الأفضل وتحديده، أو أنَّه لغفلته عن الأصلح، او نتيجة لتعوده على الامر الأسوأ يسيء الاختيار، ولا يبقى لديه مجال للتفكير الصحيح واختيار الأصلح . اذن فكُلُّما كان الإنسان أكثر معرفة بالحقائق ، وأكثر وعيًا وتوجهاً، وثباتاً وحيويةً، وأقوى برادة على ضبط الميول والانفعالات الداخلية؛ فإنَّه سيكون أفضل في حسن اختياره، وسيكون أكثر مناعة من الانحرافات والأخطاء .

ومن هنا فإنَّ بعض الأفراد المؤهلين ومن ذوي الاستعدادات العالية الذين تلقوا الثقافة الالزمة والوعي الضروري ونعموا بالتربيَة الصحيحة، سوف يتوصَّلون إلى مراحل مختلفة من الكمال والفضيلة، وربما يقتربون من حدود العصمة بل ولا يخطر في اذهانهم مجرد التفكير باقتراف الذنب والعمل السيء، كما لا يفكر أيُّ عاقل يشرب السم والجُرْع والعقاقير المميتة أو تناول الأشياء القذرة والغفنة .

اذن، فإذا افترضنا أن فرداً بلغ الغاية في استعداده لادراك الحقائق، وارتفع صفاء روحه وقلبه إلى أسمى المستويات والدرجات وحصل له كل ذلك بشكل ذاتيٍّ محض دون الحاجة إلى دفع أو تحريك، كما يعبر القرآن **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ﴾** وبسبب هذا الاستعداد القوي والصفاء الذاتي ، تتولاه التربية الإلهية، ويزيد بروح القدس فإنَّ هذا الفرد سوف يطوي مدارج الكمال بسرعة لا توصف، وربما اجتاز في ليلة واحدة طريقاً لا يُجتاز إلا بمئة سنة، وربما تفوق على الآخرين حتى في مرحلة طفولته، بل حتى وهو جنين، سوف يظهر لمثل هذا الفرد قبح المعاصي والذنوب، تماماً كظهور ضرر السمّ ووضوحه وقع الاشياء العفنة والقدرة للآخرين . وكما أنَّ اجتناب الأفراد العاديين أمثال هذه الأفعال القاتلة او القدرة ليس جبراً، فإنَّ اجتناب المعصوم المعاصي لا ينافي الاختيار أبداً.

## الأسئلة :

- ١ - أذكر الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء
- ٢ - ما هي الآيات القرآنية التي تدلُّ على عصمة الأنبياء؟
- ٣ - ما هو السرُّ في صيانة الأنبياء عن الخطأ في تلقي الوحي؟
- ٤ - كيف تتلاءم عصمة الأنبياء عن المعاصي مع اختيارِيَّتهم؟